النظام العرفاني بين الفكر الصوفي والفكر اللساني
. مقاربة عرفانية لنصوص قرآنية .

The mystical system between Sufi thought and linguistic thought
- A mystical approach to Quranic texts -

خليصة بارش [1]
جامعة محمد بوضياف، مسيلة، الجزائر
مخبر الدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية بمسيلة
khalissa.bareche@univ-msila.dz
أحمد بلغابة
المركز الجامعي نور البشير، البيض، الجزائر
ahmedbelghaba320@gmail.com

تاريخ الوصول 2023/04/17 القبول 2023/08/03 النشر على الخط 2023/09/15
Received 17/04/2023 Accepted 03/08/2023 Published online 15/09/2023

ملخص:

يهدف البحث إلى رصد طبيعة النظام العرفاني ومختلف طروحاته، وذلك من خلال عقد مقارنة بين المفاهيم والمبادئ التي يبسطها هذا النظام في الفكرين العرفانيين الصوفي واللساني عبر مختلف تجلياتهما في الخطاب القرآني، وبالاستناد إلى آليات الوصف والتحليل خرج البحث بجملة من النتائج، منها: المقاربة العرفانية تهتم بالمعرفة اللغوية من حيث هي انعكاس حتمي للقدرات العقلية لدى الإنسان، وتهتم بالمفهوم الذهني المتجسد في نظام لغوي، هذا النظام يعكس تفاعل مستويات اللغة والذهن. النظام العرفاني يتخذ من التدبر السبيل الأمثل للمعرفة، فهذا التدبر الوجداني طريق الاقتناع العقلي.القرآن الكريم يمثل نظاما معرفيا يقف جنبا إلى جنب مع الأنظمة المعرفية التي تحاول العقول البشرية وضعها وصياغتها.

الكلمات المفتاحية: نظام . مقاربة عرفانية . صوفي . لساني .

Abstract:
The research aims to monitor the nature of the mystical system and its various propositions, by making a comparison between the concepts and principles that this system simplifies in the Sufi and linguistic mystical thoughts through their various manifestations in the Quranic discourse, and based on the mechanisms of description and analysis, the research came out with a number of results, including :The mystical approach is concerned with linguistic knowledge as it is an inevitable reflection of human mental abilities, and it is concerned with the mental concept embodied in a linguistic system, this system reflects the interaction of the levels of language and mind. The gnostic system takes contemplation as the best way to knowledge, for this emotional contemplation is the path of mental conviction.. The Holy Qur'an represents a cognitive model that stands side by side with the cognitive models that human minds try to develop and formulate..
Keywords: *The system, the mystical approach, mystical, linguistic.*

[1] المؤلّف المراسل: **خليصة بارش** البريد الإلكتروني: **khalissa.bareche@univ-msila.dz**

1. مقدمة:

تعد اللغة النظام الذي يحكم العملية التواصلية بين الجماعات الإنسانية، وهي ظاهرة أثارت الكثير من الجدل . قديما وحديثا . لارتباطها بطبيعة الإنسان، فهي الملكة التي جبل عليها وميزته عن باقي المخلوقات الكونية، وبقيت هذه الظاهرة محل اهتمام الباحثين بمختلف مشاربهم النظرية والمنهجية، واستطاع العالم السويسري فرديناند دي سوسير[1] **f.Saussure** (1857 . 1913م) إحداث طفرة في البحث اللغوي؛ ذلك أنّه عزل نظام اللغة عن مختلف الظروف المحيط به، وتعامل معه كنسق مكتف بذاته تحكمه علاقات تركيبية واستبدالية هي أساس في العملية التواصلية، كما يتسم هذا النّظام بمستوياته . الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية والدلالية والتداولية . التي تتآلف مع بعضها البعض بشكل خطي ويمكن تمييزها بشكل آني.

لكن ما أصرّ عليه سوسير هو استبعاد ما هو ذهني وتجريدي في تصوره للنظام على الرغم من ارتباط اللغة بالعقل ما دام العقل هو ما يميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، وهو الناطق الفريد بالنظام اللغوي، وهذا ما دفع بالأمريكي نعوم تشومسكي[2] **N,Chomsky**(ولد عام 1928م) إلى البحث في العلاقة التي تجمع اللغة والعقل، وتجاوز الوصف إلى التفسير والسلوك إلى التجريد، لكنه هو الآخر استبعد المعنى والدلالة وهنا جرد التركيب من سياقه الذي استدعاه، وفتح تشومسكي أمام تلامذته مجالا للخوض في البحث العرفاني الذي تشكلت ملامحه بشكل سريع وواضح مع جورج لايكوف[3] **G,Lakoff**(ولد عام1945م) وجماعته.

ويشكل البحث العرفاني آخر ما أفرزه الدرس اللساني، وهو وإن كان يبحث في المعرفة التي تتمحور في الذهن الإنساني إلاّ أنّه سلط الضوء على قضية الصندوق الأسود، أو بتعبير آخر على اللغة وتموقعها في الدماغ، كما حاول أن يحاكي الملكة اللغوية الإنسانية ليخلق مثيلتها حوسبيا، فالعرفانية المعاصرة جددت النظر في جدلية اللغة والفكر، وبالتالي هي نظرة في المعرفة المتشكلة من هاتين الثنائيتين، إلى جانب التجربة كعنصر أساس من المعرفة اللغوية، فأصبح البحث اللساني لا يبحث في طبيعة النظام اللغوي وإنما في كيفية انتاج هذا النظام وموقعه ومظاهر استقباله وفهمه.

[1] . فرديناند دو سوسير: هو العالم اللغوي السويسري الشهير، يعتبر مؤسس علم اللغة الحديث والمنهج البنيوي في اللسانيات، وقدم هذا العالم مفاهيم ونظريات جديدة حول طبيعة اللغة، فميز بين اللغة واللسان والكلام، وبين النظام والبنية والقيمة، وبين التاريخية والآنية وغير ذلك، كما عدّ سوسير اللغة موضوع مشترك بين مختلف العلوم، لمن يريد الاستزادة يمكنه العودة إلى كتاب: اللسانيات النشأة والتطور، لأحمد مومن، دار المطبوعات الجامعية، الجزائر، ط02، 2005.

[2] . نعوم تشومسكي: هو أحد أشهر العلماء في مجال اللسانيات، تمكن من تأسيس نظرية النحو التوليدي التحويلي، وهي نظرية تهدف إلى دراسة قواعد وقدرات اللغة البشرية بطريقة علمية ومنهجية، واستطاع تطوير مفاهيم لسانية كالنحو العالمي والبنيتين السطحية والعميقة وغير ذلك، والذي يميز منهج هذا اللغوي هو نقله مجال البحث اللغوي من الوصف إلى التفسير، وبذلك تمكن من تقديم تفسيرات عديدة لطبيعة اللغة وتموقعها.

[3] . جورج لايكوف: هو عالم لسانيات معروف بإسهاماته في مجال اللسانيات العرفانية أو المعرفية، وهي فرع من اللسانيات يدرس العلاقة بين اللغة والعقل والتجربة، وأبرز لايكوفدور الاستعارة في التفكير والتواصل، وكيف تؤثر الاستعارات في فهمنا للعالم والقضايا الدينية والسياسية وغيرها، وتمكن هذا اللغوي من ابتكار عدة نظريات، كنظرية التجميع ونظرية التأطير، لمن يريد الاستزادة يمكنه ال عودة إلى كتاب: المدارس اللسانية المعاصرة، لنعمان بوقرة، مكتبة الآداب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، د ط، 2004.

هذه الأهداف العرفانية المنبثقة من الفلسفة الغربية تدفعنا إلى التساؤل حول قضية أساسية، وهي ارتباط العرفان البعد الصوفي في الفكر الإسلامي، وهنا نطرح إشكالية محورية، وهي: كيف تغيرت المفاهيم النظرية والإجراءات المنهجية في ضوء النظامين العرفاني الصوفي والعرفاني اللساني؟ وهذه الإشكالية تستدعي الإجابة أولا عن بعض التساؤلات، وهي: ما طبيعة النظام العرفاني؟ كيف تشكل الفكر الصوفي؟ ما الفرق بين الفكر الصوفي والفكر اللساني؟ ما هي أبرز المفاهيم النظرية في النظام العرفاني الصوفي من خلال النص القرآني؟ كيف تتمظهر الإجراءات المنهجية للنظام العرفاني اللساني في النص القرآني؟

2 . التعريف بمصطلحات البحث:

2 . 1 . مفهوم النظام العرفاني:

يشير مفهوم النّظام في السياق المعرفي إلى منظومة من الأفكار التي يعطي تكاملها رؤية كلية وفهما شموليا للكون والحياة والإنسان [1]، فالنّظام هو مجموع القيم الناتجة عن تعالق الوحدات بمختلف أشكالها، بحيث تكتسب الوحدة قيمتها من التحامها مع باقي الوحدات، أما العرفان أو المعرفة، فهي عملية إدراك الشيء في شكله الصحيح وهي مسبوقة بجهل بخلاف العلم، ولهذا يسمى الحق تعالى بالعالم دون العارف [2]؛ أي أنّ المعرفة العرفانية تبدأ من غياب كلي للإدراك الكوني وصولا إلى الإحاطة الواعية بمختلف الظواهر والقوانين الكونية، ويكون بذلك النّظام العرفاني ذلك المركب الشامل لمصادر المعرفة وعلاقاتها ومختلف تجلياتها [3]، وهو يتشكل بدوره من أنظمة عرفانية فرعية، ويحيل إلى النظام الشامل لمختلف إبداعات العقول الإنسانية، وهو مشترك بين البشر بمختلف لغاتهم وثقافاتهم.

وإذا عدنا إلى مفهوم العرفان وجدناه يتقاطع مع المعرفة، وإذا ما نظرنا في العلاقة التي تجمع بين المجالين (العرفان والمعرفة) نتوصل إلى أنّ المعرفة قائمة بشكل اساس على العرفان، فيمكن أن تكون بذلك جزء من العرفان وليس هي العرفان نفسه، فالعرفان أشمل من المعرفة، فهو كمصطلح يحيل إلى موقف من العالم يشمل الحياة والسلوك والمصير، أو بمعنى آخر الوجود الكوني، وهذا الموقف ينبني على إعمال الجوارح التي لا تمثل مجرد أعضاء تقوم بمهام حيوية معينة بل لها وظيفة أخرى تتجلى في إدراك الذوات وفهم العالم، والنظام العرفاني يتخذ من التدبر السبيل الأمثل للمعرفة، فهذا التدبر الوجداني طريق الاقتناع العقلي، والنظام العرفاني في الفكر الإسلامي نظام يقوم على الإيمان بأنّ الحقيقة واحدة لا يمكن للإنسان الإحاطة بها، فهو يرتكز على مفهوم التوحيد المؤسس بنياته على أدلة الوحي والعقل، ويتعاضد في ذلك البرهان والعرفان في تكامل واتساق، من غير انفصام أو تناقض [4]، إنّه النّظام الذي لا يعرف الكلمة الأخيرة؛ لأنّ عناصر العملية المعرفية من عقل عارف وموضوع معروف ووسائل للمعرفة دائما متغيرة متحولة، فالظواهر الإنسانية والطبيعية تتحول وتتغير بصورة دائمة؛ لأنّ سنة الله في خلقه التغيير.

[1] . ينظر: فتحي حسن ملكاوي، نحو نظام معرفي إسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، ط01، 2000، ص30.
[2] . ينظر: علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د ط، 2004، ص185.
[3] . ينظر: محمد الحسن العوض شنان أحمد، دور النظام المعرفي الإسلامي في توجيه النظام الإسلامي. مجلة الجزيرة، ع02، 2014، ص03.
[4] . ينظر: فتحي حسن ملكاوي، نحو نظام معرفي إسلامي، ص66/65.

2 . 2 . مفهوم الفكر الصوفي:

الحركة الصوفية اتجاه فكري وديني قديم، نشأت هذه الحركة "في منتصف القرن الثاني الهجري، وبلغت قمتها العقائدية في أواخر القرن الثالث؛ أي بعد مئة وخمسين سنة تقريبا، وأصبحت عقيدة عامة، ودينا عاما لعموم المسلمين إلا قليلا في القرن التاسع والعاشر والحادي عشر"[1]؛ ويرجع أصل التصوف كعبادة إسلامية إلى رسولنا الحبيب محمد . صلى الله عليه وسلم . إذ يعدّ أول صوفي، وبدأت صوفيته منذ اختلى في غار حراء من أجل العبادة، وهناك نظريات أخرى عن وجود أفكار تصوفية قبل النبي في حضارات وديانات أخرى، كالديانة اليهودية والمسيحية والبوذية والشعوذة الهندية، وفي الحضارة العربية يذكر العالم واللغوي العربي ابن خلدون(ت808هـ) أن أول من دعي بلقب الصوفي هو أبو هاشم الصوفي[2]المتوفي في (155هـ)، وتدور الأفكار الرئيسية للفلسفة الصوفية حول مفهوم التوحد مع الله، وانقسمت هذه الفلسفة إلى اتجاهين، الأول ينص على وحدة الوجود وبالتالي فإن الحقيقة الوحيدة في هذا الكون هو الله وأن جميع الأشياء في الكون موجودة في الله، والاتجاه الثاني هو وحدة الشهود الذي يرى أن تجربة التوحد مع الله تتم في ذهن المؤمن وليس في الواقع الفعلي وأن الله ومخلوقاته مفصولين بشكل مطلق.

وتوجد ثلاث تصورات للكونيات في الفلسفة الصوفية، الأولى هي الإشراقية، ثم الأفلاطونية المحدثة، وأخيرا البطليمية – الأفلاطونية، ويؤمن الصوفيون بوجود ستة أعضاء للنفس الإنسانية تتحكم بالديناميكية النفسية وهي: النفس، القلب، السر، الروح، الروح الخافي، ولأخفى، ويعتبر الصوفيون هذه الأعضاء تمثيل للنفس مثلما تمثل الأعضاء الحيوية الجسد، ويعتقد الصوفيون بوجود هيئات خفية للإنسان تؤثر في إدراكه وأهوائه ومعرفته. وبشكل عام . يقسم الصوفيون هذه الهيئات إلى ثلاث أنواع، وهي[3]:

أ . الروح: يؤمن الصوفيون بالروح القوية. ويمكن تقوية الروح باتباع تعاليم القيم الإسلامية التي تؤدي إلى الوصول لله، فالموت عندهم هو ليس بالنهاية، بل بداية حياة جديدة مختلفة عما نعهده بهذه الحياة، وغاية الله من دمج الروح والجسد حسب اعتقادهم هو اختبار الحياة.

ب . النسمة: يعتقد الصوفيون بوجود هيئة خفية يطلقون عليها اسم النسمة ، والتي تمثل الأجسام النجمية، وهي خفية مثل الروح، لكنها تختلف عنها لسماحها للإدراك بالانتقال الجيوغرافي مع الإبقاء الجسد المادي في مكانه.

ج . الجسد المادي: يفرق الصوفيون بين الجسد المادي المرتبط بفيزياء عالمنا الحالي وبين النفس التي تسمح بإدراك العالم الفيزيائي المادي من دون استعمال الأعضاء الحيوية للجسد.

[1] . عبد الرحمان عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة ابن تيمية، الكويت، مج02، 1984، ص11.

[2] . أبو هاشم الصوفي: هو واحد من أوائل المتصوفين في الإسلام، وقد عُرف بزهده وورعه وحكمته، ولد في الكوفة، ويقال أنّه كان يلبس الصوف الخشن للتقشف، وكان يعظ الناس بالتوبة والإخلاص والتجرد من ملذات الدنيا، وانتسب أبو هاشم الصوفي إلى مشايخ سفيان الثوري، الذي قال عنه: "لولا أبو هاشم ما عرفت دقيق الريا وما أعلم ما الصوفي"، فهذا العالم كان قدوة للزهد والتصوف، لمن يريد الاستزادة يمكنه العودة إلى موقع: تراجم عبر التاريخ، https://tarajm.com/people/26889.

[3] . ينظر: عبد الرحمان عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، ص11.

أما المبادئ الصوفية فتتمثل في الفناء والبقاء، وهما يتكاملان للوصول إلى اليقين، والفناء يدل عند الصوفيين على مستويات إدراكية، وهي حالة الاتحاد كاملة مع الوجود المادي والروحاني والمجرد، ومن المبادئ الصوفية أيضا البقاء واليقين، وبالنسبة للبقاء يعتبر الصوفيون أنّ الحكماء والأنبياء وصلوا لهذه الدرجة وأنّهم حاولوا تعليمها للبشر، أما اليقين فهي أعلى مقامات مستويات العرفانية الصوفية، وهي نهاية مطاف الصوفي والتي وصل إليها كل الأولياء والقديسين، ومن خلال ما سبق يمكن القول أنّ الحركة الصوفية ارتبطت بالدين وأصبح الهدف منها هو " الوصول إلى مقام النبوة أولا ثم الترقي حتى يصل الفرد منهم في زعمهم إلى مقام الألوهية والربوبية" [1]، إنّها عملية روحية وذهنية يتحرر فيها الإنسان من الحدود الزمانية والمكانية ويدخل في حيز اللاوجود ليكون هو والله في خطاب وجداني، فمنطلق للصوفية تتجلى في إمكانية الوصول إلى الذات الإلهية عن طريق التجارب الذاتية، وهي تجارب تعتمد على الحواس لا العقل، وهذه التجارب طريق للمعرفة المطلقة، فالصوفي يؤمن بوجود ملكة عرفانية ميزه الله بها وتعينه على الوصول إلى أقصى درجات العرفنة باتباع شعائر معينة، وينطلق من منهج تدبري، وهو منهج عرفاني صوفي يبحث في العلاقة الجدلية التي تربط الغيب الإلهي والإنسان والطبيعة، وهي علاقة تداخل وليست تضاد، والقرآن يعطي فهما محددا لهذه العلاقة في شكل نظام عرفاني يحاجج فيه القرآن بالمعرفة التامة.

2 . 3 . مفهوم الفكر اللساني:

استطاع البحث اللساني أن يقدم تصورات متجددة للظاهرة اللغوية انطلاقا من الطروحات الهندية بزعامة بانيني **Panini**[2] بين القرن السادس (ق م) والقرن الرابع (ق م) إلى غاية المبادئ العرفانية بزعامة تلامذة تشومسكي(**N, Chomsky**)، فانتقل الاهتمام من تتبع التطورات التي تصاحب اللغة عبر مختلف العصور إلى التمحور حول النظام اللساني الذي يمثل الجماعات البشرية، وتم تجاوز المنهجين التاريخي والمقارن العاجزين عن رصد بنية اللغة في شكلها العروضي إلى منهج وصفي آني عمل على وضع اللغة في حيز العلمية، ليكون ذلك بادرة عدة نظريات لسانية استنطقت الكنه اللغوي ورصدت مختلف المصادر المعرفية خلّف انتاج اللغة واستعمالها، ويمكن القول أنّ هذه النظريات وتصوراتها انبثقت من جهود اللساني السويسري فرديناند دي سوسير(**F, Saussure**)، ونظريته البنيوية التي جاءت كرد فعل على الدراسة التاريخية المقارنة، وتمحور اهتمامها حول البنية والنظام في دراسة اللغة، مجردة من كل سياقاتها التاريخية والاجتماعية والثقافية وغير ذلك، وولدت هذه النظرية اتجاهين لسانيين، وهما [3]:

- اتجاه أوروبي يهتم بدراسة العلاقات الإستبدالية في اللغة: وهي علاقات تربط بين الوحدات اللغوية عن طريق مبدأ تداعي الأفكار، وهي علاقات ذهنية يتم استبدال وحدة لغوية بأخرى من نفس الحقل المعجمي والدلالي.

---

[1] . المرجع السابق، ص65.

[2] . بانيني: من أشهر وأقدم علماء اللغة في التاريخ، أبدع نظاما لقواعد اللغة السنسكريتية؛ أي لغة الهنود القديمة، والذي يعتبر نظام لغوي منهجي وعلمي، ويشمل قواعد اللغة السنسكريتية في الصوت والصرف والنحو والدلالة وغير ذلك، ووصل عدد هذه القواعد إلى 3996 قاعدة، موزعة على ثمانية فصول، كل فصل يتكون من أربعة أجزاء، وكل جزء يحتوي على عدد من القواعد، وتتسم هذه القواعد بلغة مختصرة ورمزية، تسمى سانسكرتا (سانسكر: مصقول)، والأحرف المستخدمة في هذه اللغة تسمى براتيراكاس (براتير: مساعد)، ولقواعد بانيني تأثير كبير على دراسات علماء اللغة في جميع الأزمان والأمكنة لاسهاماتها الكبيرة في تطوير اللغات ولخاصيتها العلمية المساعدة على البرمجة، لمن يريد الاستزادة يمكنه العودة إلى كتاب: المدارس اللسانية المعاصرة، لنعمان بوقرة

[3] . ينظر: عبد الرحيم البار، الفكر اللساني الغربي مقوماته وخصائصه، مجلة الذاكرة، ع02، 2016، ص213.

- اتجاه أمريكي يهتم بدراسة العلاقات الائتلافية للغة: وهو اتجاه يبحث في الاتجاه العمودي للتراكيب اللغوية، وذلك من خلال مختلف علاقات التقارب والتجاور بين الأصوات والكلمات والتراكيب في اتجاه خطي، ويمكن ايجاز مراحل تطور الفكر اللساني الحديث في الآتي:

جدول/ مراحل تطور الفكر اللساني الحديث:

مراحل تطور الفكر اللساني الحديث	
مرحلة الفكر اللساني البنيوي	تعدّ هذه المرحلة طفرة في الدرس اللساني، وكانت بدايتها مع ما نشره تلامذة (سوسير) (شارل بالي وسيشهاي) من محاضرات جمعت في كتاب (محاضرات في اللسانيات العامة) عام (1916) الذي انبثقت عنه جملة من المبادئ اللّغوية شكلت حجر الزاوية ونقطة انطلاق العديد من النظريات
مرحلة الفكر اللساني الوظيفي	نشأت سنة(1926) بتشكوسلوفاكيا، وجمعت طروحات لسانية فريدة لعدّة مفكرين وباحثين، أمثال (ماثيزيوس و تروبتسكوي و جاكبسون وغيرهم، وعدت هذه المدرسة اللغة ظاهرة وظيفية محضة، وبتعبير آخر نظام من الوظائف
مرحلة الفكر اللساني النسقي	بزعامة المفكر الدنماركي لويس هيلمسليف، حيث تعامل مع اللغة من منطلق رياضي وفق أساس استنباطي يهتم بدراسة العلاقات الائتلافية للغة
مرحلة الفكر اللساني السياقي	بريادة (فيرث) الذي أحدث نقلة إبستمولوجية في الفكر اللساني نقل فيها مجال البحث من النسق إلى السياق
مرحلة الفكر اللساني التوزيعي	بزعامة كل من الأمريكيين (بلومفيلد وهاريس) وهو توجه سلوكي من حيث النشأة والهدف، يقوم على ثنائية المثير والاستجابة في تحليله اللساني، ليطرح بعدها هاريس مفاهيمه وإجراءاته حول تحلّيل الخطاب والتي حررت الدرس اللساني من إطار الجملة إلى محورية النص
مرحلة الفكر اللساني التوليدي	بزعامة الباحث اللّساني الأمريكي (نعوم تشومسكي) ذو الرؤية التفسيرية، وصاحب المنهج التوليدي التحويلي الذي أحدث طفرة علمية نادت بتفنيد السعي البنيوي السلوكي ودعت إلى العقلانيّة والتفسير في التعامل مع اللغة وفهمها وانتاجها
مرحلة الفكر اللساني العرفاني	اتجاه لساني حديث يبحث في العمليات العقلية المساهمة في المعرفة اللغوية، من رواده (جورج لايكوف وشارلز فيلمور وإليانور روش وجيل فوكونياي وغيرهم)

المصدر: (البار، 2016، صفحة 213) [1]

[1] . ينظر: المرجع السابق، ص213.

3 . تجليات النظام العرفاني الصوفي في الخطاب القرآني:

يعد النظام العرفاني الصوفي نظاما خاصا يتكامل فيه "الذوق الصوفي والحس العقلي في استجلاء الحقيقة الإلهية" [1]، وسنحاول من خلال النماذج المختارة من سورة الأنبياء الغوص أكثر في تفاصيل ودلالات النظام العرفاني ضمن الخطاب القصصي القرآني في وجهته الاستدلالية، ونقف عند الآيات في بعدها الوجداني الممثل لجانب من جوانب المعرفة القرآنية.

النموذج الأول: قوله تعالى في سورة الأنبياء الآيتين(13) و(14):﴿**لاَ تَرْكُضُوا وارْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُم فِيْهِ وَمَسَاكِنِكُمْ لَعَلَكُمْ تُسْئَلُونَ(13) قَالُوا يَا وَيْلَنَا إنّا كُنَّا ظَالِمِينَ**﴾، قد يتخذ النظام العرفاني أسلوب التهكم والتوبيخ الذي يحمل طابعا عرفانيا يتقصد الوجدان ليمارس سلطة الضمير في ردع المقصود من الخطاب عما هو آثم فيه، يقول عز وجل:﴿لا تركضوا﴾ والقول محذوف (فقيل لهم لا تركضوا)، ووجه الخطاب في هذا السرد القصصي يحتمل أن يكون لبعض الملائكة، أو هم المؤمنون [2]؛ فكان التهكم والتوبيخ يحمل دلالة (ارجعوا إلى نعيمكم تسئلون غدا عما جرى عليكم)، فالخطاب موجه إلى الجانب الوجداني والعمق الذهني حتى يحقق مقصديته وأغراضه.

النموذج الثاني: قوله تعالى في سورة الأنبياء الآيتين(34)و(35):﴿ **وَ مَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الخُلْدَ أَفَإِنْ مِتّ فَهُمْ الخَالِدُونَ(34) كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ المَوْتِ وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِ والخَيْرِ فِتْنَة وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ(35)**﴾، الآية انتقال من طعم الفناء والبقاء إلى لذة اليقين، فعندما يكون الغرض من الخطاب هو إثارة الجانب الوجداني في المتلقي، يلجأ المخاطب لتوجيه الرسالة اللغوية إلى الذائقة الشعورية، واستعير الذوق في الآية المذكورة للتعبير عن مطلق الإحساس الباطني لأنّ الذوق إحساس باللسان، وذوق الموت مقدماته ذوق الألم، أما بعد حصوله فلا إحساس للجسد، وجملة (لنبلوكم بالشر والخير فتنة) عطف على الجملة المعترضة بمناسبة أنّ ذوق الموت يستلزم بالضرورة سبق الحياة، والحياة مدة يعتري فيها الخير والشر جميع الأحياء، فعلّم الله تعالى المسلمين أنّ الموت مكتوب على كل نفس حتى لا يحسبوا أنّ الرسول . صلى الله عليه وسلم . مخلد [3]؛ كما أنّه دفع للإنسان إلى التجرد من الإحساس بالملذات الدنيوية، وتسخير ذائقته التي يملكها لخدمة مساعيه في التقرب إلى معبوده، وبناء نظام معرفي يساعده في مجابهة آلام الحياة ومصائبها.

النموذج الثالث: قال الله تعالى في سورة الأنبياء الآية (107):﴿ **وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إلاَّ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ**﴾، تتضمن الآية ترغيبا في الشريعة المحمدية، وذلك لما تلمسه في قلب متدبرها من استشعار الرحمة التي أرساها في خلق النبي . صلى الله عليه وسلم . فقد أقيمت هذه الآية على عماد إثبات الرسالة لمحمد . صلى الله عليه وسلم . وأنّه لم يكن بدعا من الرسل، بل مصدقا لما جاء به من خلال هذا الاستثناء(إلا رحمة للعالمين)، ذلك أنّ الإنسان أميل إلى الترغيب والمحبة منهما إلى الترهيب، وعطفت هذه الآية على

[1] . أمحمد سحواج، المصطلح الصوفي العرفاني في شعر الأمير عبد القادر من الكشف إلى الحقيقة، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، م09، ع02، 2017، ص63.

[2] . ينظر: أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ج01، ط01، 1998، ص674.

[3] . ينظر: محمد الطاهر بن عاشور. (1984). تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج02، 1984، ص63/64.

جميع ما تقدم من قصص الأنبياء الذين أوتوا حكما وعلما وذكرا، فكانت مشتملة على وصف وسرد جامع لبعثة محمد . صلى الله عليه وسلم . ومزيتها على سائر الشرائع مزية تناسب عمومها ودوامها، وصيغت بأبلغ نظم [1]، والنسق العرفاني في هذه الآية الكريمة يظهر في التأثير الذي تحدثه الرحمة الإلهية التي اختص بها خير خلق الله في النفس البشرية، وهنا يظهر وقع أسلوب المدح الذي هو من الأساليب البارزة في استثارة النفس واستمالتها والتأثير فيها، وأبرز آيات المدح تتجلى في مدح الذات الإلهية ومختلف صفاتها الكمالية.

4 . النظام العرفاني في ضوء الدرس اللساني الحديث:

اتخذ العرفان في الدرس اللساني الحديث شكلا مغايرا عن سابقه، فهو لم يعد مرتبط بالجانب الوجداني العاطفي بل دخل حيز الذهن حيث تتجسد المفاهيم في شكل تصورات لها كينونتها ودلالتها في الواقع، والعرفان كمنحى لساني يجمع عدّة نظريات مما يستوجب البحث في أصولها وأبعادها خدمة لعلوم اللسان، وما يتصل به من مجالات معرفية أخرى [2]، فالبحث في المعرفة هو بحث في الذهن وفي مختلف المعارف والنظريات الذهنية التي أفرزتها التصورات العرفانية، ومن بين هذه النظريات التي تشكل قاعدة بسطت عليها معالم الرؤية العرفانية الذهنية: "نظرية القيد العرفاني والدلالة التصورية لراي جاكندوف [3](**R.Jackendoff**)، ونظرية دلالة الأطر لشارلز فيلمور [4](**Charles Fillmore**)، ونظرية الطراز لإليانور روش [5](**Eleanor Rosch**)، ونظرية

---

[1] . ينظر: المرجع نفسه، ص164،165.

[2] . ينظر: نبيلة هريدة وغنية تبوب، اللسانيات العرفانية وتعليمية اللغة العربية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، الجزائر، 2017/2016، ص19.

[3] . راي جاكندوف: ولد سنة 1945 في مدينة نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية، وما يزال على قيد الحياة، ويعمل كأستاذ للفلسفة ومدير مشارك بمركز الدراسات المعرفية في جامعة تافتس، وتتلمذ جاكندوف تحت إشراف لغويين شهيرين مثل نعوم تشومسكي وموريس هال في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا، وحصل على درجة الدكتوراه في اللغويات عام 1969، واشتهر بتطوير نظرية الدلالات المفاهيمية، والتي تحلل معنى الكلمات والجمل من حيث المفاهيم الذهنية، كما اقترح نموذجا متوازٍ للنحو، والذي يتألف من ثلاثة مكونات مستقلة: الصوتية والبناء والدلالة، لمن يريد الاستزادة يمكنه العودة إلى كتاب:في اللسانيات العصبية نظرية الاستعارة العصبية ما بعد العرفانية والمزج المفهومي، لعطية سليمان أحمد، مكتبة الأدب، القاهرة، ط01، 2023.

[4] . شارلز فيلمور: ولد سنة 1929 في سانت بول بالولايات المتحدة الأمريكية، وتوفي سنة 2014 في سان فرانسيسكو، كان أستاذا فخريا للغويات في جامعة كالفورنيا، بيركلي، درس في كلية رِد وجامعة هارفارد، حيث حصل على درجة الدكتوراه في اللغويات عام 1961، اشتهر بتطوير نظرية قواعد التأطير، والتي تحلل الأدوار الدلالية لعبارات الاسم في الجمل، كما أدخل مفهوم دلالات التأطير الذي يصف معنى الكلمات والعبارات من حيث علاقتها بإطار أو نظام مفاهيمي، لمن يريد الاستزادة يمكنه العودة إلى كتاب:في اللسانيات العصبية نظرية الاستعارة العصبية ما بعد العرفانية والمزج المفهومي، لعطية سليمان أحمد، مكتبة الأدب، القاهرة، ط01، 2023.

[5] . إليانور روش: ولدت سنة 1938 في مدينة نيويورك، ولا تزال على قيد الحياة، تعمل كأستاذة فخرية في علم النفس بجامعة هارفارد، حيث حصلت على درجة الدكتوراه في علم النفس سنة 1969، اشتهرت بتطوير نظرية التصنيف النموذجي، والتي تجادل في فكرة أن الناس يصنفون الأشياء والمفاهيم بناءً على تشابهها نموذجيا بدلا من مجموعة من المميزات الضرورية والكافية، لمن يريد الإستزادة يمكنه العودة إلى كتاب: النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستمولوجية، لعبد الرحمان طعمة وأحمد عبد المنعم، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط01، 2019.

الفضاءات الذهنية لجيل فوكونياي [1](G. Fauconnier)، ونظرية المزج التصوري لجيل فوكونياي ومارك تورنر ([2] Mark Toner)، ونظرية النحو العرفاني لرونالد لانقاكر [3](R,Langacker)" [4]وغيرها، وإنّ أكثر ما يميز هذه النظريات العرفانية، هو "منهجها العلمي القائم على المقاربة النفسية والمعرفية في تفسير إنتاج المعنى؛ أي أنّ ميدانها هو الذهن" [5]؛ وبرز هذا المنهج بشكل واضح عندما قدم مجموعة من علماء النفس المعرفي والحوسبة بمعهد ماسا تشووستس للتكنولوجيا فرضيتها المشهورة حول علاقة المشابهة الرمزية بين العقل البشري والحاسوب الآلي.

والمنهج العرفني يشتغل على تفكيك شفرات العقل البشري ودراسة مختلف أنشطته، حيث يبحث في علاقة اللغة بالذهن، ويهتم بالمعرفة اللغوية من حيث هي انعكاس حتمي للقدرات العقلية لدى الإنسان، وبالمفهوم الذهني المتجسد في نظام لغوي، فاللغة في التصور اللساني العرفاني تحرك الذهن، وهي القالب الذي تتجسد فيه مختلف الأفكار الذهنية، وترصد مسار المعنى ومختلف أبعاده الحقيقية والمجازية، وعندما نقول ذهن فنحن نقصد الحيز التجريدي الذي يميز الذات الإنسانية وهي لا تنفصل عن خاصيته اللغوية، والمقاربة العرفانية تنظر إلى اللغة الإنسانية على أنّها "نظام محايث للتجربة، وله فيها الخلفيات والأسس التي يستمد منها دلالته ومعانيه" [6]؛ وهذا النظام تتفاعل فيه اللغة والذهن وتحكمه تجارب ومعارف، وهو ليس نظام مكتسب بل هو ملكة رمزية فطرية فطرية منغلقة ومستقلة عن سائر الملكات العرفانية.

---

[1]. جيل فوكونياي: ولد سنة 1944 في باريس بفرنسا، مايزال على قيد الحياة، ويعمل كأستاذ فخري لعلم المعرفة في جامعة كالفورنيا، سان ديغو، درس في المدرسة العادية العليا وجامعة السوربون في باريس، حصل على درجة الدكتوراه في اللغويات عام 1975، اشتهر بتطوير نظرية الفضاءات الذهنية، وهي مجالات دينامية من التفكير تسمح للناس ببناء المعنى والاستدلال حول مختلف المواقف والمنظورات، كما شارك في تطوير نظرية المزج التصوري أو نظرية التجانس المفاهيمية مع جيل فوكونير ومارك تورنر، والتي تشرح كيف يجمع الناس عناصر من مساحات ذهنية مختلفة لإنشاء معاني جديدة ورؤى، لمن يريد الإستزادة يمكنه العودة إلى كتاب: النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستمولوجية، لعبد الرحمان طعمة وأحمد عبد المنعم، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط01، 2019.

[2]. مارك تورنر: ولد سنة 1954 في غوثري سنتر أيوا بالولايات المتحدة الأمريكية، وما يزال على قيد الحياة، ويعمل كأستاذ لعلم المعرفة في جامعة كيس وسترن ريزيرف، درس في جامعة ستانفورد وجامعة كاليفورنيا، سان ديغو، حصل على درجة الدكتوراه في الأدب الإنجليزي عام 1981، اشتهر بتطوير نظرية التخطيط المفاهيمية والتي تشرح كيف يستخدم الناس معرفتهم وخيالهم لإسقاط هيكل من مجال إلى آخر، كما شارك في تطوير نظرية التجانس المفاهيمية مع جيل فوكونير، لمن يريد الاستزادة يمكنه العودة إلى كتاب: النظرية اللسانية العرفانية دراسات ابستمولوجية، لعبد الرحمان طعمة وأحمد عبد المنعم، دار رؤية للنشر والتوزيع، ط01، 2019.

[3]. رونالد لانقاكير: ولد سنة 1942 في فوند دو لاك بالولايات المتحدة الأمريكية، ويعمل كأستاذ فخري للغويات في جامعة كاليفورنيا، سان ديغو، درس في كلية دارتموث زجامعة هافارد، حيث حصل على درجة الدكتوراه في اللغويات عام 1966، اشتهر بتطوير نظرية النحو العرفاني، أو اللغويات المعرفية، والتي تحلل هيكل ومعنى اللغة من حيث العمليات والمبادئ المعرفية العامة، كما أدخل مفاهيم المخططات التصورية والفضاءات والإظهار، وهي مفاهيم رئيسية في اللغويات المعرفية، لمن يريد الاستزادة يمكنه العودة إلى كتاب: مدخل في النحو العرفني، لرونالد لانقاكر، تر: الأزهر الزّنّاد، دار سيناترا، تونس، ط01، 2018.

[4]. صلاح الدين يحي ولامية قداش، اللسانيات العرفانية والمحتوى الإجرائي لنظرية دلالة الأطر في المداخل المعجمية، مجلة دراسات معاصرة، مج05، ع02، 2021، ص250.

[5]. الربيع بوجلال وعز الدين عماري، مفاهيم لسانية عرفانية، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف مسيلة، م03(عدد خاص)، 2019، ص65.

[6]. عثمان زاهية، الاسترسال النحوي الدلالي في اللسانيات العرفانية "ليونارد طالمي أنموذجا"، مجلة الكلم، مج07، ع02، 2022، ص241.

5 . بعض المرتكزات اللسانية في النظام العرفاني . مقاربة عرفانية من خلال آيات قرآنية من سورة البقرة .

اللسانيات العرفانية من المقاربات اللسانية الحديثة التي تروم البحث في جدلية اللغة والذهن والتجربة انطلاقا من طروحات علمية تنظر للمستويات اللغوية على أنّها مستويات تصورية بالأساس، وتعتبر المعارف اللغوية معارف منبثقة من التداول اللغوي؛ "أي أنّ المقولات والبنيات في الدلالة ، والتركيب والصرف، والفونولوجيا، تبنى انطلاقا من إدراكنا لملفوظاتنا المخصصة وفق مناسبات مخصوصة الاستخدام" [1]؛ وإذا كانت اللسانيات البنيوية تلغي الجانب الذهني في وصف النظام اللغوي، فإن المقاربة العرفانية تنطلق من مبدأ أنّ النظام اللغوي يتشكل وفق مستويين، وهما: مستوى لغوي مادي ومستوى ذهني تجريدي، وعلى الرغم من اتفاق العرفانية مع التوجه اللساني الحديث وبالأخص التوجه اللساني التوليدي إلا أنّها تجاوزت البنية التركيبة التي تمحورت حولها التوليدية التحويلية إلى البحث في البنية الدلالية، وانتقلت من التجريد إلى الترميز، ومن اللغة المعرفية إلى المعرفة اللغوية، ومن أبرز مرتكزاتها:

5 . 1. الفكر المتجسد (الجسدنة): الجسد بالمفهوم العرفني مجال تجريدي ومفهوم ذهني مجرد، والجسدنة تمثيل للأعضاء الجسدية، وصورنة لمختلف نشاطاته وآلياته، والبنية اللغوية في نظرية الجسدنة عبارة عن كيان جسدي له أعضاء تماثل الأعضاء البشرية، فاللغة جسد له خصوصيته وزمانه ومكانه وحركاته التي تتجلى ضمن مستويين أحدهما إرادي والآخر لا إرادي [2]، وهو مكون ثقافي وسياسي واجتماعي، وقد يستثمر هذا الجسد لوشم رموز لإيصال مختلف التصورات والمعتقدات في شكل لوحة رمزية.

وقد اتخذ البحث العرفاني منذ سبعينيات القرن العشرين صبغة جديدة، وذلك حين تم التفطن إلى دور الجسد والمادة في تشكيل العرفان والذهن ليصبح الحديث عن العرفان المجسدن أو الجسدنة في مقابل ما يطلق عليه بالعرفانية الحوسبية الكلاسيكية [3]، وبذلك أصبحت العرفانية وفق هذا المنحى الجديد "علم يبحث في تفاعل جزء من جسم الإنسان مع العالم المحيط به [4]، ويمكن توضيح ذلك من خلال قوله تعالى في سورة البقرة الآية (10):﴿**فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهَمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ**﴾، فالقلب هو جزء من الجسد والمرض حالة تصيب الجسد والقلب، والمقصود به هنا المعاصي والأحقاد ما دام الجزاء عليها هو العذاب الأليم في الآخرة لا في الدنيا، فالمرض الحقيقي يصيب جسد الإنسان فيضعفه كما يصيب الحسد والحقد قلبه فيضعف إيمانه، فالعرفان هنا يتشكل من ثنائية القلب والمرض، والعلاقة بين الاثنين تتحدد وفق استدعاء ذهني لمختلف سياقات الآية التي تعين على ضبط التصور المجسدن.

---

1 . عمر بن دحمان، نظرية الإستعارة التصورية والخطاب الأدبي، دار رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط01، 2015، ص43.

2 . ينظر:الربيع بوجلال وعز الدين عماري، مفاهيم لسانية عرفانية، مجلة العمدة في اللسانيات، ص133.

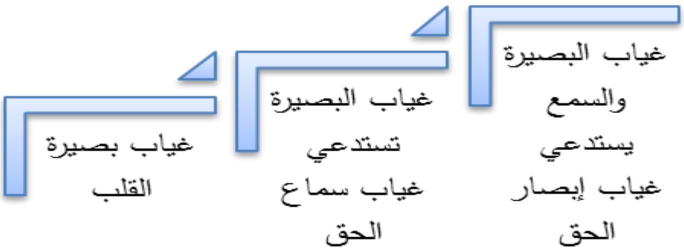
3 . ينظر: عثمان زاهية، الاسترسال النحوي الدلالي في اللسانيات العرفانية "ليونارد طالمي أنموذجا"، ص238.

4 . ينظر: ربيع بوجلال، اللسانيات العرفانية، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، مج02، ع02، 2018، ص237.

5 . 2. الاستعارة التصورية: تعد الاستعارة في مفهومها العام "آلية مركزية في انتاج الخطاب وفهم دلالته وترجمته فضلا عن كونها أداة جمالية للتزيين وزخرفة الكلام"[1]، ثم اتخذت الاستعارة دلالات أخرى في مختلف العلوم والمعارف، وفي الدرس اللساني المعاصر. وبالضبط في الفكر العرفاني اللساني . أصبح ينظر إلى الاستعارة انطلاقا من مختلف عمليات الاسقاط بين مختلف المجالات المتعالقة، وأنتج ذلك ما يسمى بالاستعارة التصورية التي تشكل "آلية ذهنية في تمثّل المجال الواحد على أساس مجال آخر"، فهي انطلاقا من هذا الأساس تتمحور حول مجالين، المجال(أ) والمجال(ب)، والاستعارة تشمل هنا عملية اسقاط المجال التصوري (أ) على المجال الثاني (ب)، والنظام العرفاني قائم بشكل كبير على الاستعارة التصورية الحاضرة في مختلف تجاربنا وثقافاتنا.

وهذا النوع من الاستعارة حاضر في النص القرآني الذي قدم تصوير بياني بيّن لعديد العمليات الاستدلالية في سياقات مختلفة، والاستعارات التصورية "تتطلب جهدا عرفانيا كبيرا في السياقات المحايدة، ومن ثم فإنّ التحليل العرفاني يستفيد من الاستقصاء التداولي العميق"[2]، فالتصور الذي يفرضه الخطاب الاستعاري تتشارك فيه الجماعات اللغوية في مختلف المعارف والمقتضيات، يقول الله تعالى في سورة البقرة الآية (7):﴿**خَتَمَ اللهُ عَلَى قُلُوبِهِم وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيْمٌ**﴾، وفي هذه الآية مجالين تمثيليين متقاطعين، وهما: الختم والغشاوة، فالختم كتم والكتم تغطية، والتغطية غشاوة، وإذا تساءلنا عن معنى الختم على القلوب والأسماع وتغشية الأبصار، نجده من باب المجاز لا الحقيقة، فالآية تعكس استعارة تمثيلية في اتجاه تصاعدي تدرجي كما هو مدرج في الشكل التوضيحي الآتي:

شكل توضيحي 1: اتجاه الاستعارة التمثيلية:



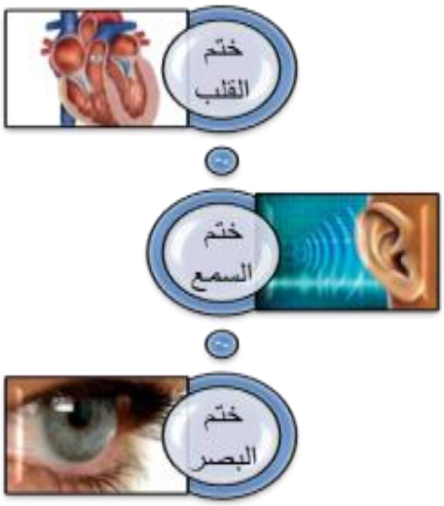
والختم هنا ليس حقيقيا، وقد أسند هذا الفعل المجازي إلى الله "وإسناده إليه يدل على المنع من قبول الحق والتوصل إليه بطرقه"[3]، وهنا تمثيل حال جفاء القلوب عن الطاعة والحق بحال ختم الله لها، فهذا الجفاء يفقدها فطنتها كما لو أنّها قلوب البهائم لا تفقه شيئا، والسمع والأبصار في الآية تدخل في حكم الختم والغشاوة، فغشاوة القلب تؤدي إلى غشاوة باقي الأعضاء الحسية، فالختم هنا يشمل ثلاثة مستويات تصويرية كما هي مدرجة في الشكل التوضيحي المقابل:

[1] . لحمادي فطومة وجعفري عواطف، الاستعارة والنظرية العرفانية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج11، ع01، 2018، ص567.

[2] . صابر الحباشة وآخرون، دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، مركز الملك عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، السعودية، ط01، 2019، ص170.

[3] . أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، ص41.

شكل توضيحي 2 : يوضح مستويات الختم والغشاوة



5 . 3 . الأفضية الذهنية:

الفضاء هو مساحة لها أبعادها الزمانية والمكانية، والذهن فضاء أو حيز تشتغل فيه مختلف مكنزات التفكير وتحكمه خلفيات ومعتقدات، والفضاء الذهني في مفهومه العام يحيل إلى ذلك التنظيم للمعلومات "التي تمثل الخلفية الذهنية لعلاقة الصور المكونة للمعتقدات والأشياء التي ستوظف في التفاعل مع الأشياء الأخرى، وينبني حين نستعمل اللغة بصفة آنية في لحظة التكلم أو التفكير، أو عندما نفكر ونتكلم، ولولا الفضاء الذهني لما تمت عمليات التواصل بين البشر باستدعاء الغائب واستحضار الحدث، ويمثل التخاطب ضربا من الفضاءات التي يشيدها المتكلم والمخاطب" [1]؛ أي أنّنا نتواصل وفق حيز تضبطه خبرات وتجارب مشتركة بين أطراف الخطاب، وهذا الحيز يشمل مجال خارجي ومجال ذهني، والمجال الثاني هو ما يطلق عليه بالفضاء الذهني.

والفضاء الذهني في التصور العرفاني اللساني عبارة عن "نظام شامل ونشاط كامل لاكتساب المعارف والمعلومات والعمل على تخزينها وتنظيم بنياته الإدراكية، وتشغيل برامجها المعرفية قصد توظيفها متى استدعت الحالة الذهنية" [2]، ويمكن توضيح ذلك من خلال قوله تعالى في سورة البقرة، الآية(203):﴿**وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ فَمَنْ تعجّل في يَومِين فَلا إِثْمَ عَلَيه وَمَن تَأخَر فَلاَ إِثْمَ عَلَيه لمن اتَّقَى واتَّقُوا الله واعْلَمُوا أنَّكُم إِلَيْه تُحْشَرُونَ**﴾، القارئ للآية يتكون لديه فضاء ذهني يضم معارف سابقة يحدد من خلالها الإطار الزماني للأيام المعدودات، وهذه المعارف تمكّن القارئ من إدراك مختلف دلالات الآية ووظائفها، فالآية تحيل إلى أيام منى، وهي "ثلاثة أيام بعد يوم النحر" [3]، فإعمال الذهن وتشغيل الذاكرة تعين على استحضار المعلومات حول أيام النحر في

[1] . ربيع بوجلال، اللسانيات العرفانية، 239.

[2] . لحمادي فطومة وجعفري عواطف، الاستعارة والنظرية العرفانية، ص569.

[3] . محمد الطاهر بن عاشور. (1984). تفسير التحرير والتنوير، ص261.

شهر ذي الحجة والتي تكون في "اليوم العاشر ويومان بعده" [1]، فالفضاء الذهني نظام مجسد يجمع ما هو لغوي وما هو غير لغوي من معطيات استدلالية ودلالات زمانية ومكانية.

مما لا شك فيه أنّ ما وصل إليه العلماء في جلّ المجالات كان نتاج بحث معرفي مستمر، وهذا البحث يخضع لمرجعيات الباحثين خاصة الدينية منها، وإذا وقفنا عند محاولات كشف الحقائق المعرفية في إطار ديني إسلامي لا يمكن القول "بأن القرآن الكريم يمثل نموذجا معرفيا يقف جنبا إلى جنب مع النماذج المعرفية التي تحاول العقول البشرية وضعها وصياغتها ، فنستعيض عن مقولة (لنموذج القرآني) بمقولة (النظام)، وأنّ ما هنالك هو مجموعة تصورات حول هذا النظام تنشأ من عدة زوايا الانتباه على أوجه هذا النظام الموحد وهذا النظام تمثل المعرفة فيه كيانا ممنهجا من الحقائق المنظمة [2]، وينبني على ثلاثة محاور رئيسة، هي إعادة تحديد المناهج والعلوم والأفكار الموروثة، وإعادة تصحيح مفاهيم التعامل مع الغيب، وإعادة النظر في الفكر الوافد من خارج النسق المعرفي القرآني وتفعيل مناهج ونظريات فهمه ونقده.

خاتمـــــة:

وفي الختام، كانت هذه الأوراق البحثية محاولة لتسليط الضوء على النظامين الصوفي واللساني في إطار الفكر العرفاني . قديما وحديثا . ومن خلال نصوص قرآنية تكشف عن مختلف الآليات العرفانية، وخرج البحث بجملة من النتائج، وهي:

- النّظام في مفهومه العام هو مجموع القيم الناتجة عن تعالق الوحدات بمختلف أشكالها، بحيث تكتسب الوحدة قيمتها من التحامها مع باقي الوحدات.
- العرفان الصوفي ينظر إلى اللغة كوسيلة، أما العرفان اللساني ينظر إلى اللغة كهدف، كما أنّ النظام العرفاني الصوفي اتجاه فكري قديم، أما النظام العرفاني اللساني فهو اتجاه فكري ولغوي حديث.
- النظام العرفاني الصوفي يهتم بالجانب التجريدي للغة، بينما النظام العرفاني اللساني يتعامل مع الجانب الرمزي والمادي للغة بمعزل عن أي تصور تجريدي، كما أنّ النظام العرفاني الصوفي نظام وجداني بينما النظام العرفاني اللساني هو نظام مفهومي، وقد تغيرت المفاهيم النظرية والإجراءات المنهجية في ضوء النظامين العرفاني الصوفي والعرفاني اللساني.
- المقاربة العرفانية تهتم بالمعرفة اللغوية من حيث هي انعكاس حتمي للقدرات العقلية لدى الإنسان، وتهتم بالمفهوم الذهني المتجسد في نظام لغوي، هذا النظام يعكس تفاعل مستويات اللغة، وهو ثابت عند الجماعات البشرية.
- النظام العرفاني يتخذ من التدبر السبيل الأمثل للمعرفة، فهذا التدبر الوجداني طريق الاقتناع العقل، وهو قائم بشكل كبير على الاستعارة التصورية الحاضرة في مختلف تجاربنا وثقافاتنا، ويعتبر القرآن الكريم نظام معرفي يقف جنبا إلى جنب مع الأنظمة المعرفية، فهو نظام تكاملي وشمولي لمختلف التصورات والنظريات التي تحاول العقول البشرية وضعها وصياغتها وتطبيقها.

---

[1] . المرجع نفسه، ص261.

- الفضاء الذهني في التصور العرفاني اللساني عبارة عن نظام مفهومي شامل ونشاط كامل لاكتساب المعارف والمعلومات اللغوية وغير اللغوية والعمل على تخزينها وتنظيم بنياتها الإدراكية وتشغيل برامجها المعرفية قصد توظيفها متى استدعت الحالات الذهنية والتواصلية وذلك وفق إجراءات ومقتضيات.
- من بين الآليات المنهجية العرفانية أيضا الاستعارة التصورية والجسدنة، وهي حاضرة في النص القرآني الذي قدم تصوير بياني بيّن لعديد العمليات الاستدلالية في سياقات مختلفة، وتمثل الاستعارة التصورية مختلف عمليات الاسقاط بين مختلف المجالات المتعالقة، أما الجسدنة فهي تمثيل للأعضاء الجسدية، وصورنة لمختلف نشاطاته وآلياته، والبنية اللغوية في نظرية الجسدنة عبارة عن كيان لغوي له أعضاء تماثل مختلف أعضاء الإنسان.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية ورش.

1. صلاح الدين يحي ولامية قداش، اللسانيات العرفانية والمحتوى الإجرائي لنظرية دلالة الأطر في المداخل المعجمية، مجلة دراسات معاصرة، مج05، ع02، 2021.
2. الربيع بوجلال وعز الدين عماري، مفاهيم لسانية عرفانية، مجلة العمدة في اللسانيات وتحليل الخطاب، جامعة محمد بوضياف مسيلة، م03(عدد خاص)، 2019.
3. عثمان زاهية، الاسترسال النحوي الدلالي في اللسانيات العرفانية "ليونارد طالمي أنموذجا"، مجلة الكلم، مج07، ع02، 2022.
4. عمر بن دحمان، نظرية الإستعارة التصورية والخطاب الأدبي، دار رؤية للنشر والتوزيع، مصر، ط01، 2015.
5. ربيع بوجلال، اللسانيات العرفانية، مجلة الآداب واللغات والعلوم الإنسانية، مج02، ع02، 2018.
6. لحمادي فطومة وجعفري عواطف، الاستعارة والنظرية العرفانية، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، مج11، ع01، 2018.
7. صابر الحباشة وآخرون، دراسات في اللسانيات العرفانية الذهن واللغة والواقع، مركز الملك عبد العزيز الدولي لخدمة اللغة العربية، الرياض، السعودية، ط01، 2019.
8. أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الخوارزمي الزمخشري، تفسير الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، تح: عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض، مكتبة العبيكان، الرياض، ج01، ط01، 1998.
9. أمحمد سحواج، المصطلح الصوفي العرفاني في شعر الأمير عبد القادر من الكشف إلى الحقيقة، مجلة الأكاديمية للدراسات الاجتماعية والإنسانية، م09، ع02، 2017.
10. عبد الرحمان عبد الخالق، الفكر الصوفي في ضوء الكتاب والسنة، مكتبة ابن تيمية، الكويت، مج02، 1984.
11. عبد الرحيم البار، الفكر اللساني الغربي مقوماته وخصائصه، مجلة الذاكرة، ع02، 2016.
12. علي بن محمد السيد الشريف الجرجاني، التعريفات، تح: محمد صديق المنشاوي، دار الفضيلة، القاهرة، د ط، 2004.
13. فتحي حسن ملكاوي، نحو نظام معرفي إسلامي، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الأردن، ط01، 2000.
14. محمد الحسن العوض شنان أحمد، دور النظام المعرفي الإسلامي في توجيه النظام الإسلامي. مجلة الجزيرة، ع02، 2014.
15. محمد الطاهر بن عاشور. (1984). تفسير التحرير والتنوير، الدار التونسية للنشر، تونس، مج02، 1984.
16. نبيلة هريدة وغنية تبوب، اللسانيات العرفانية وتعليمية اللغة العربية، مذكرة مكملة لنيل شهادة الماستر في اللغة والأدب العربي، جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل، الجزائر، 2017/2016.